تكريم لميا مبيض البساط

الحركة الثقافية – انطلياس

7 آذار 2024

تقديم: تمارا الزين

مساء الخير وأهلا وسهلا بكم في هذا اللقاء المخصص للصديقة لميا مبيض البساط، وأمتنع مرغمة عن ذكر أي لقب قبل اسمها خوفا من حصرها في صفة لا تفيها حقها. وبعد وسام جوقة الشرف الفرنسي (2015) ووسام الاستحقاق الوطني برتبة فارس (2004) تقديراً لجهودها المتشعبة، يأتي تكريم اليوم من الحركة الثقافية.

أتشرّف باختيار لميا لي لتقديمها ولكني أقر بأنني تهيّبت هذه المهمّة لعدة أسباب. فعادة ما يختار المكرَّمون أرباب اللغة من كتاب وشعراء أو إعلاميين للتعريف بهم، وأنا الآتية من عالم الكيمياء الفيزيائية ومن إدارة البحث العلمي، لست من المفوّهين الذين يجيدون تطويع الكلمات وزخرفتها بما يليق بالمحتفى بها. هذا في الشكل، أما في المضمون، فلم تكن مهمتي أسهل، فمن يعرف لميا يدرك صعوبة اختزالها في وظيفة أو عمل أو إنجاز! مع ذلك سأحاول قدر المستطاع...

لميا، وبعد مسيرة أكاديمية لامعة بين الجامعة الأميركية في بيروت وجامعة هارفرد، بنت مسيرة مهنية خولتها لتكون واحدة من أعلام الإدارة العامة والشؤون التنموية سواء عبر المنصب الذي تشغله كرئيسة لمعهد باسل فليحان المالي والاقتصادي أو كنائبة لرئيس لجنة خبراء الأمم المتحّدة للخدمة العامّة، وهو انتخاب جاء تكريسا لدورها الفاعل في مجالات الإدارة والحوكمة والتنمية المستدامة.

مهنيا وكما عرفنا لميا، هي واحدة من ثلة من رواد المأسسة. فبعد أن اختيرت عام 2000 من قبل وزارة المالية الفرنسية لتكون المديرة الوطنيّة لـ "المعهد المالي والجمركي"، لَعِبت عام 2003 دورا محوريّا في تَحويل المعهد من مُبادرة تَعاون بين لبنان وفرنسا إلى مؤسسة عامّة قائمة بذاتها وأعني معهد باسل فليحان المالي والاقتصادي ذو الموقع الرائد في لبنان وعلى الساحة الدولية.

وإلى جانب المأسسة، نعرف رؤيتها في تطوير وتمكين المؤسسات. تحت إدارتها تعزز حضور المعهد الإقليمي والدولي كمركز تميّز في شؤون إدارة المال العام. وبفضل جهودها في تطوير الشراكات، نجحت أيضا في تعزيز علاقات التعاون العربي–المتوسطي وكان لها دور بارز في إنشاء وتطوير ستّة معاهد ماليّة في فلسطين والعراق

والمغرب والأردن واليمَن وساحِل العاج. كما أسَّست في العام 2006 في بيروت، شبكة GIFT–MENA لمعاهد التدريب الحكوميّة، وفي العام 2013 شبكة الباحثين في الإدارة العامّة MENAPAR. وكان من الطبيعي أن تنتخب عضوًا في مجلس إدارة "الرابطة الدولية لمدارس ومعاهد الإدارة (IASIA) وأن تشارك منذ العام 2013 في مبادرة منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية الخاصة بمنطقة الشرق الأوسط.

ومن يعرف لميا، لن يتوه عن جهودها في تعزيز الشفافية. ففي مجال الإصلاحات الماليّة الهيكليّة، كان لها اسهامات عدّة خصوصا في إصلاح الموازنة العامة وشفافيتها، أبرزها كان في العام 2018 مع الإصدار السنوي "لموازنة المواطنة والمواطن" وإطلاق لوحة تحكم رقميّة تمكّن المواطنين من الوصول إلى بيانات الموازنة المفتوحة لتدرج ضمن أفضل الممارسات التي أشار إليها صندوق النقد الدولي. قادت في عام 2018 فريق خبراء دوليين ولبنانيين لتنفيذ تشخيص أنظمة المشتريات العامة وفق المنهجيات الدولية، وصياغة مشروع قانون عصري تم إقراره (القانون 2020/244) بالإضافة إلى استراتيجية وطنية لإصلاح منظومة الشراء العام.

وفي صلب كل هذه المهام تصر لميا على محورية المواطن وتنمية رأس المال البشري وإرساء مفاهيم المواطنة الفاعلة عبر التثقيف وإتاحة المعرفة، إن كان عبر تصميم أطر كفايات واستراتيجيات لبناء القدرات، أو صياغة سياسة عامة لاستقطاب الكفاءات لوظائف الفئة الأولى في الدولة اللبنانيّة، وصولا إلى أول مسح وطني للتثقيف المالي بالتعاون مع البنك الدولي ووزارة التربية، بالإضافة إلى تصميم وتنفيذ برامج تثقيف مالي موجّهة للشباب ولمدرسي مادّة الاقتصاد في المدارس الرسميّة. دون أن ننسى تعزيزها للإنتاج المعرفي ونشر العديد من الأوراق البحثيّة والتقارير كما وتدريس مادّة الحوكمة والإدارة العامّة ومادّة الحوكمة والجندر في الجامعات.

هذا غيض من فيض الإنجازات التي يعرفها الجميع. ما أعرفه أنا أيضا، ورغم اختلافنا في الأهواء السياسية، أننا نتشارك في طبيعة المعارك التي نخوضها في يومياتنا.

أولى هذه المعارك، معركة القطاع العام التي لا يمكن عزلُها عن مفهوم المنفعة العامة التي وللأسف همّشت في لبنان. فمصير البلاد اليوم يعتمد على رجال ونساء الخدمة العامة، ومنهم لميا، الذين لا يملكون من الموارد إلا القليل، بينما يحملون عبء تسيير المرافق العامة على عاتقهم، مدفوعين بحس الواجب الذي بات خلال هذه الأزمة مرادفا للتضحية والإيثار. ما تنادي به لميا كما كل الغيورين على بقاء الدولة هو ضرورة الفصل بين الاستحواذ على الدولة وبين الدولة نفسها والتي يجب صونها بأي ثمن... تؤمن بأن لبنان لن يتعافى من دون قطاع عام فعّال يؤدي مهامه في خدمة الجميع وأنه لن يكون للبنان خلاصٌ من دون دولة قوية، ترتكز على مبادئ المصلحة الوطنية والنزاهة والجدارة والشفافية والمساءلة والعدل. في مقالتها "كيف تكون ديارنا اللبنانيّة عامرة"، تستعيد لميا قول الإمام علي (ع) " الدولة كما تُقبلُ تُدبر " لتذكرنا بالقيم السياسية والإدارية والإرشادية لإقبال الدولة كما اختصرها الإمام علي (ع) وأساسها العدل والكفاءة. ولذا عنما نسأل لميا عن طموحها تجيب : إعادة الاعتبار لثقافة الجدارة

واحداث تغيير في آليات استقطاب الكفاءات إلى الدولة وخصوصا مواقع المسؤولية. في حديث دار بيننا منذ أشهر، في أوج تخبط القطاع العام، قررنا معا أن نستمر بما أوتينا من عزم وعناد في معركة الدفاع عن مؤسسات الدولة حتى ولو كانت معركة خاسرة، تماما على مبدأ الإمام علي : ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه.

ثاني المعارك، المرأة. في زمن حكم التفاهة، كما يقول الفيلسوف الكندي آلان دونو، تكاثر خبراء الصدفة في العلوم والإقتصاد والمال والسياسة وبرز أيضا خبراء الجندر المزيفون ممن حفظوا كلمتين وبضع أرقام... في هذا الزمن تحديدا تتصدى لميا كخبيرة أصيلة في هذا المجال لمحاولات تسخيف هذه القضية وتحويلها لتجارة تتوخى الربح. كما تسعى إلى تصويب المسار وإعادة النقاش إلى جذوره الحقوقية لتحميه من التسطيح والتجويف. لميا تدعو لتكون مشاركة المرأة في القرار فعليّة لا صورية، وتدعو طبعا إلى مشاركة أوسع للنساء في السياسة ودوائر اتخاذ القرار ولكنها تُشير إلى ضرورة طَرح إشكالية أخرى، وهي كيف نَزيد من استقلاليّة المرأة عند مشاركتها في صُنع القرار فتكون شريكة بالفعل، وليست "خيالًا" في الـ"صورة"". صوت لميا يعكس ما نريده: نساءً يحدثن فرقا في السلوكيات ويحققن خرقا في مسار بلادنا الذي يتقن إعادة إنتاج الأزمات. ورغم مقاربتها النقدية تؤمن لميا بأن المرأة هي مستقبل لبنان وأنها أيضا ذاكرته، وعندما أرادت أن توثّق تاريخ بعض التحولات السياسية والإجتماعية فعلت على لسان والدتها ليلى كشاهدة على الزمن في روايتها "ليلى، أو معنى أن تكون في غَير بَيتِك". فالتكريم اليوم مزدوج، للميا وليلى معا.

أما أم المعارك، الوطن. لميا كما أعرفها تدمن لبنان، وتراه بعيون سعيد عقل "متل الهدايا بالعلب" و " قرى من زمردٍ عالقات في جوار الغمام زُرقِ الضياءِ". وأعرف أن لميا تعشق بيروت، بيروت ست الدنيا التي تسكننا رغم محاولاتنا البائسة للانعتاق منها، وربما كان هذا هو الفشل الوحيد في مسيرة لميا وهو فشلٌ محمود. ونحن اليوم نعيش عدوانا اسرائيليا جديدا على بلادنا، عين لميا وقلبها على جنوب لبنان وعلى فلسطين، جرحنا الغائر منذ عشرات السنين... وأعرف أن إيمانها بحتمية إحقاق الحق لم ولن يتزحزح وأنها لو خيرت لانتقاء شعار يترجم يقينها لردّدت أيضا ما قاله يوما سعيد عقل: "سوف نبقى، لا بد في الأرض من حقٍ، وما من حقٍ ولم نبقَ نحن".